

فَضْلُ الْكَلَابِ

سُرِّي

عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ لَّبَسِ الشَّيَابِ

تَصْنِيفُ

الْعَلَّامَةِ أَبِي كُرَيْبٍ خَلْفِ الْمَرْزَبَانِ

سُرِّي غَرِيبِهِ وَزَادَ عَلَيْهِ

حَمْدِي زَمَنِم

بِالْإِيمَانِ

[فضل الكلاب - ابن المرزبان]

الكتاب : فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب

المؤلف : محمد بن خلف بن المرزبان

الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة

تحقيق : إبراهيم يوسف

عدد الأجزاء : 1

- فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب - الإمام العلامة أبي بكر محمد بن خلف

(1/1)

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبه تستعين
أنبا الفقيه أبو موسى عيسى بن أبي عيسى القاسبي قال أنبا القاضي أبو القاسم
علي ابن المحسن بن علي التنوخي قراءة عليه قال حدثنا أبو عمر محمد بن
العباس ابن محمد ابن زكريا بن حيويه الخراز ولفظه علينا في يوم الأربعاء
الحادي عشر من رجب سنة إحدى وثمانين وثلثمائة أن أبا بكر محمد ابن خلف
بن الرزبان أخبرهم قال ذكرت أعزك الله زماننا هذا وفساد مودة أهله وخسة
أخلاقهم ولوم طباعهم وأن أبعده الناس سفرا من كان سفره في طلب أخ صالح
ومن حاول صاحبيا يأمن زلته ويدوم اغتباطه كان كصاحب الطريق الحيران الذي
لا يزداد لنفسه إتعابا إلا ازداد من غايته بعدا فالأمر كما وصفت وقد يروي عن
أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا
شوكا لا ورق فيه وقال بعضهم كنا نخاف على الأخوان كثرة المواعيد وشدة
الاعتذار أن يخلطوا واعيدهم

(5/1)

بالكذب واعتذارهم بالتزديد فذهب اليوم من يعتذر بالخير ومات من كان يعتذر من
الذنب قال ليبيد ... ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجر

وأخبرنا أبو العباس المبرد قال حدثني بعض مشايخنا قال كنت عند بشر بن الحارث يوما فرأيتته مغموما ما تكلم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسه فقال ... ذهب الرجل المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر ... وبقيت في خلفه يزين بعضهم ... بعضا ليدفع معور عن معور ...
وأشدنا لغيره ... ذهب الذين إذا رأوني مقبلا ... سرورا وقالوا مرحبا بالمقبل ... وبقي الذين إذا رأوني مقبلا ... عبسوا وقالوا ليته لم يقبل ...
وقال آخر ... ذهب الناس واستقلوا وصرنا ... خلفا في أرادل النسناس ... في أناس تراهم العين ناسا ... فإذا خبروا فليسوا بناس ...
وقال آخر ... ذهب الملح من كثير من النا ... س ومات الذين كانوا ملاحا ... وبقي الأسمجون من كل صنف ... لبت ذا الموت منهم قد أراحا

(6/1)

وقال آخر ... ذهب الذين إذا مرضت تجهلوا ... وإذا جهلت عليهم لم يجهلوا ... وإذا أصبت غنيمة فرحوا بها ... وإذا بخلت عليهم لم يبخلوا ...
وأشدني أبو عبد الله السدوسي ... ذهب الذين هم الغياث المسبل ... وبقي الذين هم العذاب المنزل ... وتقطعت أرحام أهل زماننا ... فكأنما خلقت لئلا توصل ... الناس مشتبهون من كشفته ... منهم كشفت عن الذي لا يحمل ... أما الفقير فحاسد متفطر ... حسدا وأما ذو الثراء فيبخل ... ويظن أن له بكثرة ماله ... فضلا عليك وغيره المتفضل ...
وقال آخر ... ذهب الكرام فأصبحوا أمواتا ... ورقا تطيره الرياح رفاتا ... وتبدلت عرساتهم من بعدهم ... يسوى نبات الصالحين نباتا ... وبقيت في دهر أحاذر شره ... وأخاف فيه من الطريق بياتا ...
وقال آخر ... وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت تعرف ... وما كل من تهوى يحبك قلبه ... ولا كل من صاحبتك لك منصف ...
وقال آخر ... ذهب الناس وانقضت دولة المجد فكل إلا القليل كلاب

(7/1)

إن من لم يكن على الناس ذنبا ... أكلته في ذا الزمان الذناب ... غير أن الوجوه في صور النا ... س وأبدانهم عليها الثياب ... لست تلقى إلا كذوبا بخيلا ... بين عينيه للياس كتاب ...
وقال آخر ... ذهب الذين فضولهم معلومة ... ولهم إذا قحط الزمان حنان ... ذهبوا فليس لهم نظير واحد ... أفلا تراهم لا أبا لك كانوا ... لم يبق من أهل الفضائل والنهي ... إلا فلان باسمه وفلان ...
وقال آخر ... ذهب الذين عليهم وجدي ... وبقيت بعد فراقهم وحدي ... سلف مضى وبقيت بعدهم ... وكذاك يذهب من أتى بعدي ... تركوا الذي جمعوا لغيرهم

... وكذاك أتركه لمن بعدي ...
وقال أبو تمام ... فلو رفعت سنات الدهر عنه ... والقي عن مناكبه الدثار ... لعدل
قسمة الأيام فينا ... ولكن دهرنا هذا حصار ...
ولغيره ... ذهب المفضلون والسلف المو ... فون بالعهد منهم والعقود ... ثم
خلفت في هباء من الننا ... س أقاسيهم ودهر شديد ... فيه ساد الرعاع حبه القلب
والسيد استوى بالمسود

(8/1)

سمع للخنى صم عن الخير ينادون من مكان بعيد ... فلو أن الأمور كانت تتفادى
... لفدينا المفقود بالموجود ...
أنشدنا لعلي بن العباس الرومي ... ذهب الذين تهزهم مداحهم ... هز الكماة أعنة
الفرسان ... كانوا إذا مدحوا أروا ما فيهم ... فالأريحية منهم بمكان ... والمدح
يقدر قلب من هو أهله ... قدح المواعظ قلب ذي إيمان ... فدع اللئام فما ثواب
مديحهم ... إلا ثواب عبادة الأوثان ... كم قائل لي منهم ومدحته ... بمدائح مثل
الرياض حسان ... أحسنت ويحك ليس في وإنما ... استحسن الحسنات في ميزان
...
قال ولقيت إسماعيل بن بلبل يوما وهو راجل فقلت مالي أراك راجلا فقال ...
أرجلني قلة الكرام ... وكثرة المال في اللئام ... وليس هذا علي وحدي ... هذا
شقاء على الأنام ...
وسألني أعزك الله تعالى أن أجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شرار الأخوان
ومحمود خصاله في السر والإعلان فقد جمعت ما فيه كفاية وبيان ولست أشك
أنك أعزك الله عارف بخير عبد الله بن هلال الكوفي المجذوم صاحب الخاتم وخبر
جاره لما سأله أن يكتب كتابا إلى إبليس لعنه الله في حاجة له فإن كان

(9/1)

العقل يدفع ذلك الخبر فهو مثل حسن يعرف مثله في الناس فكتب إليه الكتاب
وأكدته غاية التأكيد ومضى وأوصل الكتاب إلى إبليس فقرأه وقبله ووضع على
عينيه وقال السمع والطاعة لأبي محمد فما حاجتك قال لي جار مكرم شديد الميل
إلي شفوق علي وعلى أولادي إن كانت لي حاجة قضاها أو احتجت إلى قرض
أقرضني وأسعفني وإن غبت خلفني في أهلي وولدي يبرهم بكل ما يجد إليه
السبيل وإبليس كلما سمع منه يقول هذا حسن وهذا جميل فلما فرغ من وصفه
قال فما تحب أن أفعل به قال أريد أن تزيل نعمته وتفقره فقد غاظني أمره وكثرة
ماله وبقاؤه وطول سلامته فصرخ إبليس صرخة لم يسمع مثلها منه قط فاجتمع
إليه عفاريته وجنده وقالوا ما الخبر ياسيدهم ومولاهم فقال لهم هل تعلمون أن
الله عز وجل خلق خلقا هو شر مني ولو فتشت في دهرنا هذا لوجدت مثل

صاحب الكتاب كثيرا ممن تعاشره إذ لقيك رحب بك وإذ رغبت عنه أسرف في الغيبة وتلقاك بوجه المحبة ويضمر لك الغش والمسبة وقد علمت ما جاء في الغيبة قال ص - **من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار** وقال ص - إياكم والغيبة فإنها شر من الزنا إن الرجل ليزني ويتوب فيتوب الله عليه وصاحب الغيبة لا يغفرها الله له حتى يغفرها صاحبها وعن بشر بن الحارث قال قال الفضيل ابن عياض لا يكون الرجل من المتقين حتى يأمنه عدوه ولا يخافه صديقه فقال بعضهم ذهب زمن الإنس ومن كان يعارض فاحتفظ

(10/1)

من صديقك كما تحتفظ من عدوك وقدم الحزم في كل الأمور وإياك أن تكاشفه سر ك فيجاهرك به في وقت الشر **أنشدني** زيد بن علي ... احذر مودة مازق ... خلط المرارو بالحلاوة ... يحصي الذنوب عليك أيا ... م الصداقة للعداوة ... **وقيل** لبعض الحكماء أي الناس أحق أن يتقى قال عدو قوي وسلطان غشوم وصديق مخادع وأنشد لدعل بن علي الخزاعي ... عدو راح في ثوب الصديق ... كشريك في الصبوح وفي الغبوق ... له وجهان ظاهره ابن عم ... وباطنه بن زانية عتيق ... يسرك مقبلا ويسوك غيبا ... كذاك تكون أولاد الطريق ... **لكثيرة** عزة ... أنت في معشر إذا غبت عنهم ... جعلوا كلما يزينك شيئا ... وإذا ما رأوك قالوا جميعا ... أنت من أكرم الرجال علينا ... **أنشدني** ابن أبي طاهر الكاتب ... حال عما عهدت ريب الزمان ... واستحالت مودة الأخوان ... واستوى الناس في الخديعة والمكر فكل لسانه اثنان

(11/1)

واعلم أعزك الله أن الكلب لمن يقتنيه أشفق من الوالد على ولده والأخ الشقيق على أخيه وذلك أنه يحرس ربه ويحمي حريمه شاهدا وغانبا ونانما ويقظانا لا يقصر عن ذلك وإن جفوه ولا يخذلهم وإن خذلوه وروي لنا أن رجلا قال لبعض الحكماء أوصني قال ازهد في الدنيا ولا تنازع فيها أهلها وانصح الله تعالى كنصح الكلب لأهله فإنهم يجيعونه ويضربونه ويأبى إلا أن يحوطهم نصحا وروي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رأى رسول الله ص - **رجلا قتيلا فقال ما شأن هذا الرجل قتيلا فقالوا يا رسول الله ص** - وثب على غنم أبي زهرة فأخذ شاه فوثب عليه كلب الماشية فقتله فقال ص - قتل نفسه وأضاع دينه وعصى ربه عز وجل وخان أخاه وكان الكلب خيرا من هذا الغادر ثم قال ص - أيعجز أحدكم أن يحفظ أخاه المسلم في نفسه وأهله كحفظ هذا الكلب ماشية أربابه ورأى عمر بن الخطاب أعرابيا يسوق كلبا فقال ما هذا معك فقال يا أمير المؤمنين نعم الصاحب إن أعطيته شكر وإن منعتة صبر قال عمر نعم الصاحب

فاستمسك به

ورأى ابن عمر رضي الله عنه مع أعرابي كلبا فقال له ما هذا معك قال من يشكرني ويكتو سري قال فاحتفظ بصاحبك

(12/1)

قال الأحنف بن قيس إذا بصبص الكلب لك فثق بود منه ولا تثق ببصباص الناس فرب مبصص خوان قال الشعبي خير خصلة في الكلب أنه لا ينافق في محبته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلب أمين خير من إنسان خؤون حدثنا القاسم بن محمد الرصدي حدثنا محرز بن عون عن رجل عن جعفر بن سليمان قال رأيت مالك بن دينار ومعه كلب فقلت ما هذا هذا خير من جليس السوء

أخبرنا أبو عمر ابن خيرة حدثنا أبو القاسم ابن بنت منيع حدثنا محرز بن عون بهذا الحديث حدثني ابن أبي طاهر حدثني حماد ابن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال قال أبي قال أتيت يوما الفضل بن يحيى فصادفته يشرب وبين يديه كلب فقلت له أتنادم كلبا قال نعم يمنعني أذاه ويكف عني أذى سواه ويشكر قلبي ويحرس مبيتي ومقيلي أنشدني الحسن بن عبد الوهاب لرجل يذم صديقا له ويمدح كلبا ... تخيرت من الأخلا ... ق ما يفي عن الكلب ... فإن الكلب مجبول ... على النصره والذب ... وفي يحفظ العهدا ... ويحامي عرصه الدرب ... ويعطيك على اللين ... ولا يعطي على الضرب ... ويشفيك من الغيظ ... وينجيك من الكرب ... فلو أشبهته لم ت ... ك كانوا على القب

(13/1)

وذكر بعض الرواة قال كان للربيع بن بدر كلب قد رباه فلما مات الربيع ودفن جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات ودفن وكان للعامر بن عنتره كلاب صيد وماشية وكان يحسن صحبتها فلما مات عامر لزمته الكلاب قبره حتى ماتت عنده وتفرق عنه الأهل والأقارب وروى لنا عن شريك قال كان للأعمش كلب يتبعه في الطريق إذا مشى حتى يرجع فليل له في ذلك فقال لا رأيت صبيانا يضربونه ففرقت بينهم وبينه فعرف ذلك لي فشكره فإذا رأيي يبصص لي ويتبعني ولو عاش أيدك الله الأعمش إلى عصرنا ووقتنا هذا حتى يرى أهل زماننا هذا ويسمع خبر أبي سماعة المعيطي ونظائره لأزداد في كلبه رغبة وله محبة قال هجا أبو سماعة المعيطي خالد بن مالك وكان إليه محسنا فلما ولي يحيى الوزارة دخل إليه أبو سماعة فيمن دخل من المهنيين فقال أنشدني الأبيات التي قتلها فقال ما هي قال قولك ... زرت يحيى وخالدا مخلصا لل ... ه ديني فاستصغرا بعض شأنني ... فلو أني أحدث في الله يوما ... أو لو أني عبدت ما يعبدان ... ما

استخفا فيما أظن بشأني ... ولا صحبت منهما بمكاني ...
إن شكلي وشكل من جحد في الله وآياته لمختلفان

(14/1)

قال أبو سماعة لم أعرف هذا الشعر ولا من قاله قال له يحيى ما تملك صدقة إن كنت تعرف من قالها فحلف فقال يحيى وإمرأتك طالق فحلف فأقبل يحيى علي الغساني ومنصور بن زياد والأشعني ومحمد بن محمد العبدى وكانوا حضورا في المجلس فقال ما حسبنالإلا وقد احتجنا إلى أن نجدد لأبي سماعة منزلا وآلة وحوما ومتاعا يا غلام ادفع له عشرة آلاف درهم وتختافيه عشرة أثواب فدفع إليه فلما خرج تلقته أصحابه يهنئونه ويسألونه عن أمره فقال ما عسيت أن أقول إلا أنه ابن زانية أبي إلا كرما فبلغت يحيى كلمته من ساعته فأمر به فحضر فقال له يا أبا سماعة لم تفرق في هجاننا ولم تغرف في شمتنا قال أبو سماعة ما عرفته أيها الوزير إفتراء وكذب علي فنظر إلى يحيى مليا ثم أنشأ يقول ... إذا ما المرء لم يخدش بظفر ... ولم يوجد له أن عض ناب ... رمى فيه الغميزة من بغاها ... وذل من قرأئه الصعاب ...

قال أبو سماعة كلا أيها الوزير ولكنه كما قال ... لم يبلغ المجد أقوام وإن شرفوا ... حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام ... ويشتموا فترى الألوان مسفرة ... لا صفح ذل ولكن صفح أحلام ...

فتبسم يحيى وقال أنا أعذرناك وعلمنا أنك لن تدع مساوي شمتك ولؤم طبعك فلا أعدمك الله ما جبلك عليه من مذموم أخلاقك ثم تمتثل قائلا

(15/1)

متى لم تتسع أخلاق قوم ... يضق بهم الفسيح من البلاد ... إذا ما المرء لم يخلق ليبيبا ... فليس اللب عن قدم الولاد ...
ثم قال هو والله كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه المؤمن لا يشفي غيظه ثم إن أبا سماعة هجا بعد ذلك سليمان بن أبي جعفر وكان إليه محسنا فأمر به الرشيد فحلق رأسه ولحيته ومثل أبي سماعة كثير كرهننا أن نطول الكتاب بذكرهم وروي عن بعضهم أنه قال الناس في هذا الزمان خنازير فإذا رأيتم كلبا فتمسكوا به فإنه خير من أناس هذا الزمان
قال الشاعر ... اشدد يدك بكلب إن ظفرت به ... فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

...
أنشدني أبو العباس الأزدي ... لكلب الناس إن فكرت فيهم ... أضر عليك من كلب الكلاب ... لأن الكلب تخسوه فيخسا ... وكلب الناس يربض للعتاب ... وإن الكلب لا يؤذي جليسا ... وأنت الدهر من ذا في عذاب ...
حدثنا أحمد بن منصور عن أبيه عن الأصمعي قال حضرت بعض الأعراب الوفاة

وكلب في جانب خيمة فقال لأكبر ولده أوصيك خيرا به فإن له صنائع لا أزال
أحمدها يدل ضيفي علي في غسق الليل إذا النار نام موقدها

(16/1)

أخبرني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر **قال** أخبرني بعض الأدباء كان لأبراهيم بن
هرمة كلاب إذا أبصرت الأضياف بنست لهم ولم تنبح وبصبصت بأذنانها بين
أيديهم فقال يمدحها ... ويدل ضيفي في الضلام إذا سرى ... إيقاد ناري أو نباح
كلاب ... حتى إذا واجهته وعرفته ... فديته ببصا بص الأذنان ... وجعلن مما قد
عرض يقدره ... ويكدن أن ينطقن بالترحاب ...
قال سمعت بعض الملوك وهو يركض خلف كلب وقد دنا من ظبي وهو يقول من
الفرح إيه فدتك نفسي وقال أبو نواس ... مفديات ومحمياتها ... مسميات
ومعلماتها ...

وله أيضا ... أتعب كلبا أهله في كده ... قد سعدت جدودهم بجده ... فكل خير
عندهم من عنده ... يظل مولاه له كعبده ... يبيت أدنى صاحب من مهده ... وإن
غدا جلله ببرده ... ذي غرة محجل بزنده ... تلم منه العين حسن قده ... يا حسن
شذقه وطول خده ... تلقي الأطباء عننا من طرده ... يا لك من كلب نسيج حده ...
وله في هذا المعنى أشياء حسان ومعان مختاره

(17/1)

ومما يدل على قدر الكلب كثرة ما يجري على ألسنة الناس بالخير والشر والمدح
الذم حتى قد ذكر في القرآن وفي الحديث وفي الأشعار والأمثال حتى استعمل على
طريق الفأل والطيرة والاشتقاقات لأسماء فمن ذلك أكلب بن ربيعة وكلاب بن
ربيعة ومكلب بن ربيعة ابن نزار وكليب بن يربوع ومكالب بن ربيعة بن قدار
وكلاب ابن يربوع ومثل هذا كثير والكلب أيديك الله منافعه كثيرة فاضلة على
مضاره بل هي غامرة لها وغالبة عليها ولم تزل القضاة والفقهاء والعباد والولاة
والنساك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها في
دورهم مع ذلك يشاهدونها في دور الملوك فلما علموا أن ذلك يكره لتكلموا ونهوا
عن اتخاذها بل عندهم أنهم إذا قتلوا الكلب كان فيه عقوبة وإن من كان أمر
بقتلها في قديم الزمان إنما كان لمعنى ولعة وإن هذه الكلاب بمعزل عن تلك
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من لا يعرف الأمور يقول أن الكلب من
السباع ولو كان كذلك ما ألف الناس واستوحش من السباع وكره الغياض وألف
الدور واستوحش من البراري وجانب القفار وألف المجالس والديار وكيف لا
يكون كذلك وهو لا يرتضى لنفسه بالنوم والربوض على الأرض وهو لا يرى
بساطا ولا وسادة إلا علاها وجلس عليها وأيضا فهو لا يجد إلى كل موضع جليل

نظيف سبيلا فيقصر عنه وتراه متخييرا أبدا أرفع المواضع في المجلس وما
يصونه صاحبه قلت والكلب

(18/1)

يعرف صاحبه والسنور ويعرفان اسماهما ومواضع منازلهما ويألفان موطنهما
وإذا طردا رجعا وإذا أجيعا صبوا وإذا أهينا احتملا وللكلب أيضا من الفضائل
اتيانه وجه صاحبه ونظره إليه في عينيه وفي وجهه وحبه له ودنوه منه حتى
ربما لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤلم ولا يؤثر وله تلك الأنياب التي لو
أنشبهها في الشجر لأثرت **قال** بعض الشعراء ... أيها الشانيء الكلاب أصخ لي ...
منك سمعوا ولا تكونن حبسا ... أن في الكلب فاعلمن خصالا ... من شريف الفعال
يعدن خمسا ... حفظ من كان محسنا ووفاء ... للذي يتخذة حربا وحرسا ...
وأتباع لرحله وإذا ما ... صار نطق الشجاع للخوف همسا ... وهو عون لنايح من
بعيد ... مستجييرا بقربه حين أمسا ...
قال أبو بكر الصديق إن الرجل في البداية إذا ضل الطريق وهاله الليل نبج نباح
الكلاب لتنبح كلاب الحي فيتبع أصواتها حتى يصير إلى الحي
وقال آخر ... إن قوما رأوك شبيها لكلب ... لا رأوا للظلام صباحا مضيا ... أنت لا
تحفظ الزمام لخلق ... وهو يرعى الزمام رعيًا وفيا ... يشكر النزر من كريم فعال
... آخر الدهر لا تراه نسيا

(19/1)

وتناديه من مكان بعيد ... فيوافيك طانعا مستحيا ... إن سؤلي وبغيتي ومناي ...
أن أراك الغداة كلبا سويا ...
قد أنشدني أبو عبيدة لبعض الشعراء ... يعرج عنه جاره وشقيقه ... ويرغب فيه
كلب وهو ضاربه ...
قال أبو عبيدة قيل هذا الشعر في رجل من أهل البصرة خرج إلى الجبانة ينتظر
ركابه فاتبعه كلب له فطرده وضربه وذكر أن يتبعه ورماه بحجر فأدماه فأبى
الكلب ألا أن يتبعه فلما صار إلى الموضع وثب به قوم كانت لهم عنده طائفة وكان
معه جار له وأخ فهربا عنه وتركاه وأسلماه فجرح جرحات كثيرة ورمى به في
بئر وحثوا عليه بالتراب حتى واروه ولم يشكوا في موته والكلب مع هذا يهر
عليهم وهم يرمونه فلما انصرفوا أتى الكلب إلى رأس البئر فلم يزل يعوي
ويبحث بالتراب بمخاليبه حتى ظهر رأس صاحبه وفيه نفس يتردد وقد كان
أشرف على التلف ولو يبق فيه إلا حشاشة نفسه ووصل إليه الروح فبينما هو
كذلك إذ مر أناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر قبرا فجأؤوا فإذا هم
بالرجل على تلك الحال فاستخرجوه حيا وحملوه إلى أهله فزعم أبو عبيدة أن ذلك

الموضع يدعى بئر الكلب وهذا الأمر يدل على وفاء طبيعي وإلف غريزي ومحابة شديدة وعلى معرفة وصبر وكرم وغباء ومنفعة تفوق المنافع

(20/1)

وحدثني عبد الله بن محمد الكاتب قال حدثني أبي عن محمد ابن خلاد قال قدم رجل على بعض السلاطين وكان معه حاكم أرمينية منصرفا إلى منزله فمر في طريقه بمقبرة فإذا قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن أحب أن يعلم خبره فليمض إلى قرية كذا وكذا فإن فيها من يخبره فسأل الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها وسأل أهلها فدلوه على شيخ فبعث إليه وأحضره وإذا شيخ قد جاوز المائة سنة فسأله فقال نعم كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن وكان مشهورا بالنزهة والصيد والسفر وكان له كلب قد رباه وسماه باسم وكان لا يفارقه حيث كان فإذا كان وقت غذائه وعشائه أطعمه مما يأكل فخرج يوما إلى بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة لبن فقد اشتيتها فأصلحوها ومضى إلى منتزهاته فوجه الطباخ فجاء بلبن وصنع له ثريدة عظيمة ونسي أن يغطيها بشيء واشتغل بطبخ شيء آخر فخرج من بعض شقوق الغيطان أفعى فكرعت من ذلك اللبن ومجت في الثريدة من سمها والكلب رابض يرى ذلك كله ولو كان له في الأفعى حيلة لمنعها ولكن لا حيلة للكلب في الأفعى والحية وكان عند الملك جارية خرساء زنا قد رأت ما صنعت الأفعى ووافى الملك من الصيد في آخر النهار فقال يا غلمان أول ما تقدمون إلى الثريدة فأومأت الخرساء إليهم فلم يفهموا ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفتوا إليه وألح في الصياح ليعلمهم مراده فيه ثم رمى إليه بما كان

(21/1)

يرمى إليه فلم يقربه ولج في الصياح فقال لغلمانه نحوه عنا فإن له قصة ومد يده إلى اللبن فلما رآه الكلب يريد أن يأكل وثب إلى وسط المائدة وأدخل فمه في اللبن وكرع منه فسقط ميتا وتناثر لحمه وبقي الملك متعجبا منه ومن فعله فأومأت الخرساء فعرفوا مرادها بما صنع الكلب فقال الملك لندمانه وحاشيته أن شينا قد فداني بنفسه لتحقيق بالمكافأة وما يحمله ويدفنه غيري ودفنه بين أبيه وأمه وبنى عليه قبة وكتب عليها ما قرأت وهذا ما كان من خبره أخبرني أبو العلاء ابن يوسف القاضي قال حدثني شيخ كان مسنا صدوقا أنه حج سنة من السنين قال وبرزنا أحمانا إلى الياسرية وجلسنا على قراح نتغدى وكلب رابض بجوارنا فرمينا إليه من بعض ما نأكل ثم ارتحلنا ونزلنا بنهو الملك فلما قدمنا السفارة إذ الكلب بعينه رابض بجوارنا كالسيوم الأول فقلت للغلمان قد تبعنا هذا الكلب وقد جب حقه علينا فتعهدوه ونقض الغلمان السفارة بين يديه فأكل ولم يزل تابعا لنا من منزل إلى منزل على تلك الحال لا يقدر أحد أن يقرب جمالنا ولا محاملنا إلا صاح

ونبح فكنا قد أمنا من سلال مكة وعزمنا على الخروج في عمل إلى اليمن فكان معنا في أرض قبا ورجعنا إلى مدينة السلام وهو معنا ذكر أبو عبد الله عن أبي عبيدة النحوي وأبي اليقظان سحيم بن حفص وأبي الحسن علي بن محمد بن المدائني عن محمد بن حفص ابن سلمة بن محارب وقد حدثنا بهذا الحديث أبو بكر عبد الله

(22/1)

ابن محمد بن أبي الدنيا بإسناد ذكره وهو حديث مشهور أن الطاعون الجارف أتى على أهل دار فلا يشك أحد من أهل المحلة أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير ولا كان قد بقي في الدار صبي رضيع صغير يحب ولا يقوم فعمد من بقي من أهل تلك المحلة إلى باب الدار فسدوه فلما كان بعد ذلك بأشهر تحول إليها بعض ورثة القوم فلما فتح الباب وأفضى إلى عرصة الدار إذا هو بصبي يلعب مع جرو كلبة كانت لأصحاب الدار فلما رآها الصبي حبا إليها فأمكنته من لبنها فعملوا أن الصبي بقي في الدار وصار منسيا واشتد جوعه ورأى جرو الكلبة يرضع فعطف عليها فلما سقته مرة أدامت له وأدام لها الطلب

أخبرني عل بن محمد قال حدثني بن الحسين بن شداد قال ولأني القسم خلافة أحمد بن ميمون بنيسابور فنزلت في بعض منازلها فوجدت في جوارى جنديا من أصحابه يعرف بنسيم كان يرسم تنظيف غلامه وإذا كلب له يخرج بخروجه ويدخل بدخوله وإذا جلس على بابه قربه وغطاه بدواج كان عليه فسألت الراسبي عن محل الغلام وكيف يقنع الأمير منه بدخول الكلب عليه ويرضى منه بذلك وليس بكلب صيد قال أبو الوليد سلة عن حديثه فإنه يخبرك بشأته فأحضرت الغلام وسألته عن السبب الذي استحق به هذه المنزلة منه فقال هذا خلصبت بعد الله عز و جل من أمر عظيم فاستبشعت هذا القول منه وأنكرته عليه فقال لي أسمع حديثه فإنك تعذرني كان يصحبني رجل

(23/1)

من أهل البصرة يقال له محمد بن بكر لا يفارقني يواكلني ويعاشرني على النبيذ وغيره منذ سنين فخرجنا أهل الدينور فلما رجعنا وقربنا من منزلنا كان في وسطى هميان فيه جملة دنانير ومعى متاع كثير أخذته من الغنيمة قد وقف عليه بأسره فنزلنا إلى مواضع فأكلنا وشربنا فلما عمل الشراب عمد إلي فشدد يدي إلى رجلي وأوثقني كتافا ورمى بي في واد وأخذ كل ما معي وتركني ومضى وأيست من الحياة وقعد هذا الكلب معي ثم تركني ومضى فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف فطرحه بين يدي فأكلته ولم أزل أحبو إلى مواضع فيه ماء فشربت منه ولم يزل الكلب معي بلق ليلي يعوي إلى أن أصبحت فحملتني عيناى وفقدت الكلب فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف فأكلت وفعلت فعلتي في اليوم

الأول فلما كان في اليوم الثالث غاب عني فقلت مضى يجيئني بالرغيف قلم يلبث إلا أن جاء ومعه الرغيف فرمى به إلي فما استتم أكله وإلا ابني على رأسي يبكي فقال وما تصنع ها هنا وما هي قصتك ونزل فحل كتافي وأخرجني فقلت له من أين علمك بمكاني ومن ذلك علي فقال كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح له الرغيف على رسمه فلا يأكله وقد كان معك فأنكرنا رجوعه ولسنت أنت معه فكان يحمل الرغيف بفيه ولا يذوقه ويخرج ويعود فأنكرنا أمره فاتبعته حتى وقفت عليك فهذا ما كان من خبري وخبر الكلب فهو عندي أعظم مقدارا من الأهل والقرابة قال ورأيت أثر الكتاف في يده فقد أثر أثرا قبيحا

(24/1)

وحدثني أبو عبد الله قال حدثني أبو الحسين محمد بن الحسين ابن شداد قال قصدت دير مخارق إلى عبد الله بن الطبري النصراني الذي كان يأتي بالنزل للمعتضد بالله فسألته إحضار وكيل له يقال له إبراهيم بن داران وطالبتة بإحضار الأدلاء لمسامحة قرية تعرف بباصيري السفلي فقال لي يا سيدي قد وجهت في ذلك فقلت له أنا على الطريق جالس وما اجتاز بي أحد فقال لي أما رأيت الكلب الذي كان بين أيدينا قد وجهت به فغلظ ذلك من قوله ونلت من عرضه وأمرت بما أنا أستغفر الله عز وجل منه فقال إن لم يحضر القوم الساعة فأنت من دمي في حل فما مكث بعد هذا القول إلا ساعة حتى وافى القوم مسرعين والكلب بين أيديهم فسألته كيف تحملته الرسالة فقال أشد في عنقه رقعة بما أحتاج إليه وأطرحه على المحجة فيقصد القوم وقد عرفوا الخبر فيقروون الرقعة فيمتثلون ما فيها وحدثني لص نائب قال دخلت مدينة قد ذكروها إلي فجعلت أطالب شيئا أسرقه فلم أصب ووقعت عيني على صير في موسر فما زلت احتال حتى سرقت كيسا له وانسلت فما جزت غير بعيد وإذا عجوز معها كلب قد وقعت على صدري تبوسني وتلزمني وتقول يا بني فديتك والكلب يبصص ويلوذ بي ووقف الناس ينظرون إلينا وجعلت المرأة تقول بالله انظروا إلى الكلب كيف قد عرفه ففجب الناس من ذلك وشككت أنا في نفسي وقلت لعلها أروضتني وأنا لا أعرفها وقالت سر معي إلى البيت أقيم

(25/1)

عندي فلا تفارقني حتى مضيت معها إلى بيتها وإذا عندها جماعة أحداث يشربون وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين فرحبوا بي وأجلسوني معهم ورأيت لهم بزة حسنة فوضعت عيني عليها وجعلت أسقيهم ويشربون وأرفق بنفسي إلى أن ناموا ونام كل من في الدار فقامت وكورت ما عندهم وذهبت أخرج فوثب علي الكلب وثبة الأسد وصاح وجعل يتراجع وينبح إلى أن انتبه من كان نائما فخجلت واستحييت فلما كان النهار فعلموا مثل فعلهم أمس وفعلت أنا أيضا بهم مثل ذلك

وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل فما أمكنتني فيه حيلة فلما ناموا رمت الذي رمته فإذا الكلب قد عارضني مثل ما عارضني به فجعلت أحتال ثلاث ليال فلما أيسر طلبت الخلاص منهم بإذنهم وقلت أتأذنون لي أعزكم الله فإني طلبت الخلاص منهم بإذنهم وقلت أتأذنون لي أعزكم الله فإني على وفاز فقالوا الأمر للعجوز فاستأذنها فقالت هات ما معك الذي أخذته من الصيرفي وامض حيث شئت ولا تقم في هذه المدينة لأنه لا يتهيأ لأحد يعمل معي عملاً فأخذت الكيس وأخرجتني ووجدت أنا أيضاً مناي أن أسلم من يدها فكان قصارى القول أن أطلب منها نفقة فدفعت إلي نفقة وخرجت معي حتى أخرجتني عن المدينة والكلب معها حتى جرت حدود المدينة ووقفت ومضيت والكلب يتبعني حتى بعدت ثم تراجع ينظر إلي ويلتفت وأنا أنظر إليه حتى غاب عني

(26/1)

أخبرني بعض الشيوخ من أهل الحيل قال كنت أنا مع جماعة خارجين إلى أصبهان فلما صرنا إلى بعض الطريق مررنا بخان قديم خراب ليس فيه أحد وإذا صوت كلب ينبح وإذا حركة شديدة فدخلنا بأجمعنا الخان فإذا نحن برجل من أصحابنا نعرفه من الفيوح كان معه كلب لا يفارقه حيث كان وإذا بعض المبنجمين تنفذ وقع عليه فكان الفيح وطنا فلما رأى حيلته ليس تنفذ له عليه طرح في عنقه وترا ليخنقه به فلما رأى الكلب ذلك ثار إلى المبنج مغشياً عليه فخلصنا من عنق صاحبنا الوتر وكان قد أشرف على التلف وقبضنا على المبنج فكتفناه بوتره ودفعناه إلى السلطان

وحدثني إبراهيم بن برقان قال كان في جوارنا رجل من أهل أصبهان يعرف بالخصيب ومعه كلب له جاء به من الجبل فوقع بينه وبين جاره خصومة إلى أن تواتبا فلما رأى الكلب ذلك وثب على الرجل الذي واثب صاحبه فوضع مخالبه في أحد عينييه وعض قفاه حتى رأيت الرجل قد غشي عليه ودمأوه تجري على الأرض

قال بعض من يذم الكلاب الناس ينامون بالليل الذي جعله الله تعالى مسكناً ويتصرفون ويبصرون في النهار الذي جعله الله عز وجل مسرحاً وهو على ضد ذلك فاحتج من يرد عليه

(27/1)

فقال إن سهرهم بالليل ونومهم بالنهار خصلة ملوكية ولو كان غير ذلك كان الملوك به أولى وإنما انتباهها بالليل لأن الليل ينتشر فيه اللصوص ويكثر التسلق والنقوب والسرقة ممن إذا أفضى إلى منزل قوم لم يرض إلا بالقتل وركوب السوء ونهب المال فهي تحرس من هذه وتنبه عليه صاحبه **أنشدني** بعض الأدباء ... تاه قلبي مني وأين مني قلب ... إن رد السرور يا قوم صعب ...

شردتني خيانة من صديق ... أنا مستسلم له وهو حرب ... مضمر للنفاق والقلب
فيه ... مبطن بغضه وباديه حب ... قلت يوما له وإن مضى منه فعال أتى بها أنت
كلب ... قال للمزح قلت ذا أم لثلي ... قلت للثلب قال ما فيه ثلب ... شيمة الكلب
حفظه لولي ... وعن الحي في دجا الليل ذب ... يحفظ الجار للجوار ويمسي ...
ساهر المقتلين يحنوه سغب ... يرقد النائمون أمنا ويمسي ... خانفا هللكهم
يحاكهم صب ... وتر الكلب في المهامة غوثا ... ويجيب اللهيف والنار تخبو ...
وتراه يباح الكلب خوفا ... وإلى الصوت في دجا الليل يحبو ... فلماذا أنحسته
الحظ قل لي ... لم تشن حسنه وما فيه سب ...
أنشدني بعض المدنيين يصف كلبا له بالشدة يقال له موق ... يا موق لا ذقت
بوس العيش ياموق ... لا منيت بشرب فيه ترقيق ... ذو هامة كرحى بئر ململمة
... وبرثن فيه للأخوان نخريق

(28/1)

صماته غضب ونبحه كلب ... وعنده سغب ما فيه ترقيق ... العقر نيته والموت
كرته ... مجتاز ساحته بالشر مهروق ... والسيف والرمح أدنى منه بادرة ...
والنبل أهون منه والمزاريق ... والترك والديلم المحذور بأسهما ... والزنج من
بعد الروم البطاريق ... جماعة القوم إن مروا بساحته ... فعنده لاجتماع القوم
تفريق ... أو مر جيش عليه كلهم بطل ... إذا أناخت بهم من خوفا النوق ...
قلت لصديق لي أتعرف في هذا المعنى شيئا قال نعم وأنشدني ... قال لي أحمد
وأحمد كهل ... ليس في الناس مثله اثنان ... حسن خلق وحسن خلق وعلم ...
بارع زانه بنطق لسان ... هو في العين زينة وجمال ... ولدى الشرب زينة
البستان ... وإذا ما المرء ضاق بالهم صدرا ... فرج الهم أحمد المرزبان ... يا
خليلي حفظت في الكلب شيئا ... قلت في الذم قال لي عظم شأن ... قال لي خذ
أخي فأظهر مقالا ... قد حوى فيه من ظريف المعان ... في مديح الكلب مع ذم
قوم ... فأراني العيان قبل العيان ... قال إني أراه أوفى ذمما ... من كثير عرفت
في الأخوان ... وأمين المغيب يلقي بوجه ... ولقوم من الورى وجهان ... شاكرا
للقليل غير كفور ... وكفور الكثير للخلان ... حارسا في الحريم يمنع في الليل عن
القوم ساهر الأجنان ... مثل ليث العرين تلقاه لما ... حل في جوف جيشه شبلان

(29/1)

عارف بالجميل يغضي حياء ... حين تلقاه للفتى عينان ... صابر مانع حفوظ
ألوف ... دافع مانع بغير امتنان ... ألين الخلق معطفا لحميم ... ولا عدائه كحد
السنان ... وأرى الناس غير من أنت منهم ... خلقوا كالذباب والصيران ...
وممن أفسد الصديق بحرمة فأقام الكلب بنصرتها أخبرونا عن أبي الحسن
المدايني يرفعه عن عمرو بن شمر **قال** كان للحارث ابن صعصعة ندمان لا

يفارقهم شديد المحبة لهم فبعث أحدهم بزوجته فراسلها وكان للحارث كلب رباه
فخرج الحارث في بعض منتزهاته ومعه ندماءه وتخلف عنه ذلك الرجل فلما بعد
الحارث عن منزله جاء نديمه إلى زوجته فأقام عندها يأكل ويشرب فلما سكر
واضطجعا ورأى الكلب أنه قد ثار على بطنها وثب الكلب عليهما فقتلها فلما
رجع الحارث إلى منزله ونظر إليهما علاف القصة ووقف ندماءه على ذلك وأنشأ
يقول ... وما زال يرعى ندمتي ويحوظني ... ويحفظ عرسي والخليل يخون ...
فوا عجباً للخل يهتك حرمتي ... ويا عجباً للكلب كيف يصون ...
قال وهجر من كان يعاشره واتخذ كلبه نديماً وصاحبت فتحدث به العرب وأنشأ
يقول ... فللكلب خير من خليل يخونني ... وينكح عرسي بعد وقت رحيلي ...
سأجعل كلبى ما حييت منادى ... وامنحه ودي وصفو خليلي

(30/1)

وذكر ابن داب **قال** كان للحسن بن مالك الغنوي أخوان وندمان فأفسد بعضهم
محرماً وكان له على باب داره كلب قد رباه فجاء الرجل يوماً إلى منزل الحسن
فدخل إلى امرأته فقالت له قد بعد فهل لك في جلسة يسر بعضنا فقال نعم فأكلا
وشربا ووقع عليها فلما علاها وثب الكلب عليهما فقتلها فلما جاء الحسن
ورآهما على تلك الحال تبين ما فعلا فأنشأ يقول ... قد أضحى خليلي بعد صفو
مودتي ... صريعا بدار الذل أسلمه الغدر ... يطيء حرمتي بعد الإخاء وخانني ...
فغادره كلبى وقد ضمه القبر ...
قال الأصمعي كان لمالك بن الوليد أصدقاء لا يفارقهم ولا يصبر عنهم فأرسل
أحدهم إلى زوجته فأجابته وجاء ليلة واستخفى في بعض دور مالك عند امرأته
ومالك لا يعلم شيء من ذلك فلما أخذ في شأنها وثب لمالك عليهما فقتلها ومالك
لا يعقل من السكر فلما أفاق وقف عليهما وأنشأ يقول ... كل كلب حفظته لكأرغى
... ما بقى ليوم التناد ... من خليل يخون في النفس والمال ... وفي العرس بعد
صفو الوداد ...
وقال آخر ... وإذا قلت ويك الكلب إخسا ... لحظتني عيناك لحظة تهمة ... أترى
إني حبستك كلبا ... أنت عنه من أبعد الناس همة

(31/1)

ذكرو أن صعصعة بن خالد كان له صديق لا يفارقه فجاء يوماً فرآه قتيلاً على
فراشه مع امرأته فأيقن بخيانتها فقال ... الغدر شيمة كل نذل سفلة ... والكلب
يحفظ عهدك الدهرا ... فدع اللئام وكن لكلبك حافظاً ... فلتأمنن الغدر والمكرا ...
وحدثني بعض أصدقائي قال خرجت ليلة وأنا سكران فقصدت بعض البساتين لأمر
من الأمور ومعى كلبان كنت ربيتهما ومعى عصا فحملتني عيني فإذا الكلبان
ينبحان ويصيحان فانتبهت بصياحهما فلم أر شيئاً أنكره فضررتهم وطردهما

ونمت ثم عادوا الصياح والنباح فأنبهاني فلم أر شيئا أنكره أيضا فوثبت إليهما
وطردتهما فما أحسست إلا وقد سقطا علي يحركاني بأيديهما وأرجلها كما يحرك
اليقظان النائم لأمر هائل فوثبت فإذا بأسود صالح قد قرب مني فوثبت إليه فقتلته
وانصرفت إلى منزلي فكان الكلبان بعد الله عز وجل سببا لخلاصي
ويرى أنه كان لميمونة زوج النبي ص - كلب يقال له مسمار وكان إذا حجت
خرجت به معها فليس يطمع أحد بالقرب من رحلها مع مسمار فإذا رجعت جعلته
في بني جديلة وأنفقت عليه فلما مات قيل لها مات مسمار فبكن وقالت فجعت
بمسمار

(32/1)

وحدثني أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن أيوب عن يونس
بن أبي رافع قال كانت للزهري كلبة صيد فكان يطلب لها الفحول يلتمس نسلها
قال وكان رجل يشرب عند قوم فرأى منهم رجلا يلاحظ امرأته فقال ... كل هنيئا
وما شربت مريئا ... ثم قم فغير كريم ... لا أحب النديم يومضن بالعين ... إذا ما
خلى بعرس النديم ...

وحدثني صديق لي أنه كان له صديق ماتت امرأته وخلفت صبيا وكان له كلب قد
رباه فترك يوما ولده في الدار مع الكلب وخرج لبعض الحوائج وعاد بعد ساعة
فرأى الكلب في الدهليز وهو ملوث بالدم وجهه وبوزه كله فظن الرجل أنه قد قتل
ابنه وأكله فعمد إلى الكلب فقتله قبل أن يدخل الدار ثم دخل الدار فوجد الصبي
نائما في مهده وإلى جانبه بقية أفعى قد قتلها الكلب وأكل بعضها فندم الرجل على
قتله أشد ندامة ودفن الكلب والله أعلم وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده في الرسالة
والحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تم بحمد الله وعونه

(33/1)

الخاتمة

خصال الكلب المحمودة

تنسب للإمام الحسن البصري

قال الإمام الحسن البصري رضي الله تبارك وتعالى عنه في الكلب عشر خصال
محمودة وكذلك ينبغي أن تكون في كل مؤمن الأولى أنه لا يزال خائفا وذلك لعلة
من دأب الصالحين الثانية أنه ليس له مكان يعرف وذلك من علامات المتوكلين
الثالثة أنه لا ينام من الليل إلا قليلا وذلك من صفات المحسنين الرابعة أنه إذا
مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين الخامسة أنه لا يترك صاحبه
ولو جفاه وضربه وذلك من صفات المريدين السادسة أنه يرضى من الدنيا بأدنى

مكان وذلك من علامات المتواضعين السابعة أنه إذا طرده أحد من مكان وانصرف عنه عاد إليه وذلك من صفات الراضين الثامنة أنه إذا ضرب وطرده ثم دعي أجاب بلا حقد وذلك من صفات الخاضعين التاسعة أنه إذا حضر شيء للأكل جلس من بعيد وذلك من صفات المساكين العاشرة أنه إذا حضر رجل من مكان لا يرحل معه شيء يلتفت إليه وذلك من صفات المتجردين

(34/1)

وفاء الكلب

للكاتب الإجتماعي

رمزي نظيم ... أصبح الغدر لأبن آدم دينا ... وله فيه مذهب وكتاب ... وعجيب أن تعرف الناس بالغدر ... وتختص بالوفاء الكلاب ... شارك الناس كثير من أنواع الحيوان في صفاتهم وطبائعهم فاشتهر الأسد بالحياء والثعلب بالتحيل والقرد بالتقليد والهر بالتلصص والذئب بالحرص والكلب بالوفاء وهكذا ووفاء الكلب لكل من أحسن إليه ولو مرة في حياته وخصيصا لمن يكرم عشرته مشتهر بين الناس والحكاية التي أقصها تمثل أروع صور الوفاء وأجملها وقعا من النفوس

حدثني صديقي فقال إن في هيكل الكرنك الفخم وبين تلك الآثار الخالدة بصعيد مصر يسكن الآن رمز من الثعابين والحيات تروح وتغدو على أعين حراس الآثار وتتنظر إليهم إذا مرت بهم نظرات من تمر من طريق مخوف ولكنه اعتاده فأطمأن إليه وأبقى على شيء من الحذر عدة للطوارئ

(35/1)

وكان تلك الحيات وهي تدل في زحفها تشعر بأنها نزلت منازل الفراعة الأقدمين واحتلت هياكلهم العظيمة التي أودعوها مهارة صناعتهم وبراعة مهندسيهم وقد غرر بها أنها تستطيع أن تنفث سمومها القتالة في وجه من يناونها العداء ويحاول جلاءها عن منازلها المقدسة

ورأى أحد حراس الهيكل وكان حديث العهد بالحراسة ثعبانا هائلا فوق أحد الشرفات فسدد إليه النار فلحظه الثعبان وسرعان ما حاد عنها وأخطأته الرمية وانصرف الحارس في المساء إلى سكنه في وحشته بالليل غير كلب وقد رباه صغيرا فلزمه لزوم الصديق الأمين وكان كلما رقد سيده في فراشه يرقد هوتحت سريره مستيقظا لكل حركة غريبة تحدث في الغرفة وتكدر صفاء سكينتها وفي تلك الليلة نام الحارس نوما عميقا وسمع الكلب حركة غريبة تحت الحجرة فأرسل ببصره الحاد فوجد ثعبانا يزحف إليها فأخذ ينبج نبجا هادئا لطيفا لأيقاظ سيده بغير أن يزعجه وتلك نهاية الوداعة والحنو ولكن سيده أثرت فيه متاعب

النهار ولو خر فوق رأسه السقف لأثر أن يذهب إلى الآخرة على أن يستيقظ من
نومه الحلو وراحته الناعمة

(36/1)

ودنا الثعبان من سرير الحارس يريد الانتقام منه غوقف الكلب في سبيله
وبصيص بذنبه ورفع الثعبان رأسه والتهبت عيناها بنار الحقد وتطاير الغضب
منهما ونشب العراك بينهما فلدغه الثعبان وانطوى حول جسده حلقات متصلة
وأنشب الكلب أنيابه في جسده ولم يشأ أن يتركه مخافة أن يموت قبله فيغدر
الثعبان بسيده ثم أخذ يودع الحياة وينظر إلى الحارس نظرات حنو وانعطاف وهو
راقد في سريره وكأنه يقول له نم مطمئنا واقطف أزاهير أحلامك المفرحة فقد
انتقمت لك وذهبت فدائك ثم لمع نور في سماء الغرفة هو سر حياتهما وخر
الاثنان صريعين وأبرد الموت حرارة الانتقام منهما وضم بينهما كأنهما محبان
معتنقان

واسيقظ الحارس في الصباح فوجدهما على تلك الصورة الرهيبة ووجد عيني
كلبه المسكين متجهتان إلى سريره جامدتين في محجريهما ولم يعد يلعب فيهما
سنا ذلك الحب الظاهر ونور ذلك الإخلاص المبين وعرف أن هذا الثعبان هو
الذي أطلق عليه غدارته بالأمس فانهلت دموعه شكر وأسف حارة على جثة كلبه
الوفي الصريع فكانت كوسام الشرف الذي تعلقه الحكومات على صدر الجندي
الشجاع الذي يظهر بلاء في ساحة القتال وبروح شهيد ولم يستتف الحارس أن
تقدم فرود كلبه الوفي بقلبه بين عينيه

(37/1)

وشهد كثير من الناس صورة ذلك الصراع العجيب فضربوه مثلا للوفاء وحب
الانتقام
وقال أحمد أفندي محفوظ الشاعر يمدح كلبا ... تماغ الوفاء وعز في الإنسان ...
وأراه بين طبائع الحيوان ... فالكلب يحمل للصديق مودة ... بيضاء يحفظها مدى
الأزمان ... لا ينمحي عند الشدائد حلوها ... أو تنتهي بطوارق الحدثنان ... سيان
في القصر المشيد وفاؤها ... أو بين مترية بدارهوان ...
الكلب في نظر الفقهاء

الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير وبه قال الأوزاعي وأبو حنيفة
وأحمد بن حنبل وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيدة ولا فرق بين الكلب المأذون في
اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوي والحضري
وقال الزهري ومالك بن أنس وداود الظاهري أنه طاهر وإنما يغسل الإناء من
ولوغته تعبدا
ويحكى هذا أيضا عن الحسن البصري وعروة بن الزبير متحجين بقوله تعالى

فكلوا مما أمسكن عليكم ولم يذكر غسل موضع إمساكها وبحديث ابن عمر قال
كانت الكلاب

(38/1)

تقبل وتدبر في سجد رسول الله ص - وتبول فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك
ذكره البخاري في صحيحه
ولكن الحاكمين بنجاسة الكلب قالوا لعل حديث ابن عمر كان قبل الأمر بالغسل من
ولوغ الكلب أو أن بولها خفي مكانه فمن تيقنه لزمه غسله والله أعلم

(39/1)
